Al-AZHAR UNIVERSITY
S.A. KAMEL CENTER
FOR ISLAMIC ECONOMICS



جامعة الأزهر
مركز صالح عبد الله كامل
للاقتصاد الإسلامي

نـــــدوة

﴿ الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ﴾

يوم السبت ٢٠ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠٠٤م

دروس اقتصادية من حياة بعض الأنبياء
عليهم السلام

إعـــــداد

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الحليم عمر

أستاذ المحاسبة – كلية التجارة
مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي
جامعة الأزهر

مدينة نصر – القاهرة – جمهورية مصر العربية
تليفون ٤٠٣٧٥١٤–٢٦١٠٣٠٨ – ٢٦١٠٣١١ – تليفاكس ٢٦١٠٣١٢
Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 4037514-2610308 - 2610311, TelFax: No. 2610312
www.SAKC.gq.nu E-mail: salehkamel@yahoo.com

تقديـــــــم:

الأنبياء والرسل خير خلق الله، اختارهم سبحانه وتعالى واصطفاهم لحمل الأمانة وتبليغ رسالته إلى خلقه، فحملوا مشاعل الهدى وأضاءوا للبشرية الطريق المستقيم الموصل للخير والفلاح دنيا وأخرى، وجاءت الرسالة الخاتمة رسالة الإسلام على يد سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه القرآن الكريم، وفيه قصص الأنبياء والرسل السابقين لنعتبر كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: من الآية١١١).

ومن المسلم به أن المهمة الأولى للرسل هى التعريف بالله عزوجل والدعوة إلى توحيده وعبادته وهو ما يدخل فى إطار الإيمان بالله عزوجل هذا الإيمان الذى يقود إلى طريق الاستقامة.

وإلى جانب هذه المهمة الكبرى –الدعوة للإيمان– فإن للرسل مهاماً أخرى على رأسها علاج التصرفات السلبية السائدة فى أقوامهم وإرشادهم إلى السلوكيات الصحيحة، وكان السلوك الاقتصادى من أبرز ما جاءت الرسالات السماوية لترشيده وإصلاحه وفق منهج إيمانى وأخلاقى يحافظ على الحقوق ويحقق الانتفاع بالموارد أو رزق الله لجميع عباده، واليوم وقد بنيت الاقتصاديات المعاصرة على المادية والأنانية انتشرت الممارسات الاقتصادية غير الأخلاقية نتج عنها مشاكل عديدة لا علاج لها إلا بإدخال البعد الأخلاقى والإنسانى فى الاقتصاد، والمصدر الرئيسى لذلك هو الدين والرسالات السماوية التى جاء بها أنبياء الله عليهم السلام فى سلسلة متصلة وحلقات مترابطة، ومن هنا كان إعداد هذه الورقة التى تقدم إلى ندوة: «الجوانب الاقتصادية فى حياة الأنبياء» والتى نحاول فيها استخلاص بعض الدروس الاقتصادية من حياة بعض الأنبياء عليهم السلام وربط ذلك بالواقع الاقتصادى المعاصر للاستفادة منها فى إصلاح الأحوال الاقتصادية وإثراء الفكر الاقتصادى الإسلامى.

ولقد اقتصرنا على بعض الأنبياء وبعض الدروس التى لم ترد فى البحوث الأخرى المقدمة للندوة وفق منهج يقوم على وضع عنوان اقتصادى لكل درس واستنباط ما يدل عليه من منطوق الآيات القرآنية ثم الربط بين مضمون الدرس وبين الوقائع الاقتصادية المعاصرة ذات الصلة، وذلك كله فى إشارات موجزة تلقى الضوء على الموضوع على أمل أن يكون ذلك كله إبرازاً لنقاط بحوث متعمقة فيما بعد؛ لأن الموضوع فى جملته «الجوانب الاقتصادية فى حياة الأنبياء» موضوع مستجد استكشافى.

ولقد نظمنا الدراسة فى هذه الورقة وفق ما يلى:

أولا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام

ثانيا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا هود عليه السلام

ثالثا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا صالح عليه السلام

رابعا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا شعيب عليه السلام

خامسا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا موسى عليه السلام

سادسا: دروس اقتصادية متنوعة من حياة الأولين وردت بالقرآن الكريم

أولا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

الدرس الأول: تحديد الحاجات الإنسانية: يدور الاقتصاد علما ونشاطا حول كيفية إشباع الحاجات الإنسانية بالموارد المتاحة، ولقد شغل أمر تحديد هذه الحاجات حيزاً كبيراً من العلوم الاجتماعية ووجد ما يعرف بنظريات تحديد الحاجات الإنسانية فى العلوم السلوكية والتى استند إليها الاقتصاديون فى تحديد هذه الحاجات وانتهوا بعد طول دراسات واختلافات إلى أن هذه الحاجات تتمثل فى نوعين رئيسين هما:

- الحاجات الفسيولوجية (الجسمية): وتتحدد فى الضرورات الأربع وهى الطعام والشراب والملبس والمسكن.
- الحاجات السيكولوجية (النفسية) وتتحدد فى الأمن والانتماء والتقدير.

وهاهو القرآن الكريم وعلى لسان سيدنا إبراهيم ﷺ فى دعائه لله عزوجل يحدد هذه الحاجات فى قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: من الآية١٢٦) وفى سورة إبراهيم جاء نفس الدعاء بصيغة أخرى فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ (إبراهيم: من الآية٣٥) وقوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧).

فمن هذه الآيات الكريمة يظهر ما يلى:

١- تحديد الحاجات الإنسانية –فسيولوجية وسيكولوجية، فى سبق واضح لما ورد فى العلوم المعاصرة وبالتالى فإنه من الأولى بعلماء المسلمين أن يتجهوا صوب دينهم باعتباره مصدرا أساسيا للمعرفة بدلا من التخبط بين النظريات واستيراد ونقل الأفكار من الغير.

٢- أهمية الحاجات النفسية–السيكولوجية– وضرورة الاهتمام بها وخاصة الأمن باعتباره ضرورياً لقيام بيئة اقتصادية سليمة فلقد قدَّمت الآية الكريمة طلب الأمن على طلب الرزق من المطعم وغيره، ويؤكد ذلك ما نلاحظه فى حياتنا المعاصرة حيث يؤدى الإرهاب ونقص الأمن إلى تأخر وبطء عملية التنمية وجذب الاستثمارات كما حدث فى مصر بعد حادثة الإرهاب فى الأقصر فمن وقتها والاقتصاد المصرى يعانى من

المشكلات، وكذا ما هو حادث فى الإرهاب الأمريكى للدول الإسلامية وآثاره الاقتصادية السيئة.

الدرس الثانى: أن الموارد –رزق الله تعالى لعباده– متاحة لجميع خلقه وليس من حق أحد حرمان الآخرين منه، لاختلاف العقيدة أو الأيدلوجية أو التوجه الفكرى، فحينما دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه بالأمن والرزق لمن آمن بالله واليوم الآخر قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: من الآية١٢٦) فالله عزوجل يقول رداً على سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن كفر فإنى أرزقهم أيضا كما أرزق المؤمنين.

الدرس الثالث: الدعاء الاقتصادى: وهو من أسباب وفرة الرزق ورغد العيش، فهاهو سيدنا إبراهيم عليه السلام يسكن زوجه وابنه بأمر الله سبحانه منطقة لا توجد بها أية موارد اقتصادية ثم دعا ربه عزوجل فاستجاب الله سبحانه لدعائه بإخراج الماء من بئر زمزم معجزة إلهية مازالت تدر ماءها على مدى التاريخ ورزقهم بأنواع الأطعمة والثمرات العديدة وتحقق لمكة المكرمة الأمن الدائم، وهكذا كانت الشروط الإيمانية سبباً للنماء الاقتصادى حتى بدون وجود الشروط المادية، الأمر الذى يؤكد تميز الاقتصاد الإسلامى الذى يجب أن يقوم فى أصوله وتحليلاته على الشروط الإيمانية والشروط المادية، وعلى أن الدعاء الاقتصادى باعتباره أحد الشروط الإيمانية هام فى حياتنا فالله عزوجل الذى استجاب لسيدنا إبراهيم عليه السلام موجود وفضله واسع، ورزقه وفير، وأمرنا سبحانه كذلك بالدعاء فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: من الآية٦٠)، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: من الآية٢١٢) أى بدون وجود الشروط المادية.

ثانيا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا هود عليه السلام:

وهذه الدروس مستفادة من قـوله تعالى فى سورة الشعراء الآيات ١٢٣-١٤٠

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

ففى هذه الآيات عدة دروس اقتصادية هى:

الدرس الأول: التحذير من سوء تخصيص الموارد: عن طريق العبث بإقامة مبانى فاخرة فى أماكن مميزة دون حاجة إليها فمع أنهم كانوا يسكنون الخيام إلا أنهم كما نعى عليهم سيدنا هو عليه السلام فى قول الله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ يقيمون مبانى فى الأماكن المرتفعة والشوارع الفسيحة آية فى الفخامة دون حاجة للسكن فى هذه المبانى وإنما لمجرد إظهار الغنى والتفاخر والخيلاء.

وللأسف فمازال الكثير من الدول وأصحاب الثروات والشركات العقارية تقيم المبانى المتسعة الفاخرة فى المدن والمشاتى والمصايف ويمتلك الواحد منهم أكثر من شقة فاخرة أو فيلا أو قصرا أو شاليه لا تستخدم خلال العام سوى أيام قليلة، وكذا الشركات العقارية التى توجه موارد المجتمع إلى بناء المساكن الفاخرة فى تبديد واضح لموارد وثروات المجتمع بينما يعانى متوسطى ومحدودى الدخل من الحصول على مسكن مناسب للإقامة فيه وصار الوضع فى السوق العقارى مبانى فاخرة عديدة لا تجد طلبا، وطلبا متزايد على الإسكان المتوسط والاقتصادى لا يجد عرضا مناسبا مما أوجد ركوداً كبيرا فى السوق العقارى.

الدرس الثانى: نقد الاستراتيجية الاقتصادية القائمة على أن القوة الاقتصادية سبيل لتحقيق الخلود فى الدنيا وجعل ذلك الهدف الرئيسى ونسيان العمل للآخرة، وتمثل ذلك بالنسبة لقوم عاد كما ذكر القرآن الكريم فى قولـه تعالى : ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أى أن

غرضهم من بناء المصانع هو التعالى والتفاخر وأملا للخلود فى الدنيا الفانية ونسيان الآخرة والعمل لها بالإيمان والعمل الصالح.

الدرس الثالث: التجبر والطغيان: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ وبطش الجبابرة يظهر فى عدة أمور منها:

أولها: إذا كان لهم حق نتيجة اعتداء الغير عليهم فإنهم ينتقمون منهم انتقاما كبيرا وزائدا ولا يردوا الاعتداء باعتداء مثله.

ثانيها: أنهم يوسعون رد العدوان بالاعتداء على من اعتدى عليهم وعلى غيرهم.

ثالثها: أنهم يمايزون فى العدوان فيعتدون على بعض الناس عدوانا كبيرا ويغضون الطرف عن آخرين معتدين.

رابعها: أنهم يعتدون على أناس لم يسيئوا إليهم أو يعتدوا عليهم.

الدرس الرابع: عدم الالتفات إلى والاستهزاء بالدعوات الإصلاحية ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ فهم لا يسمعون إلى العقلاء أو يلتزمون بالأحكام القضائية أو الاتفاقيات الدولية والقرارات الصادرة عن المنظمات الدولية، بل ويتهكمون على من ينصحهم بقولهم إن ما تقولون به ما هى إلا قيماً بالية وأفكاراً رجعية.

الدرس الخامس: العقوبات الإلهية القدرية الاقتصادية: لقد كان نتيجة عناد قوم عاد وعدم استجابتهم لدعوة سيدنا هود ﷺ وارتكابهم لهذه الذنوب الاقتصادية والسياسية أن عاقبهم الله سبحانه وتعالى عقوبات قدرية اقتصادية أهلكت ما كانوا يتفاخرون به ويظنون أنه مخلدهم من قوة جسمانية ومبانى رائعة ومصانع، وهذا من حكمة الله فى إنزال العقوبة بالكافرين المخالفين الظالمين أن يهلك الله سبحانه وتعالى ما يتكلون عليه وبسبب عنادهم فهاهو فرعون تجبر بالألوهية فعاقبه الله سبحانه فى ذاته التى يتجبر بها بإغراقه، وهاهم قوم عاد تجبروا وعصوا بقوتهم وممتلكاتهم فأبادهم الله سبحانه وتعالى بجند من جنوده وهو الريح الذى تخف سرعته فيكون نسمات عليلة وتشتد بأمر الله فتكون عذابا ولم تبق آثار لمبانيهم أو مصانعهم كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ

وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ (الحاقة:٦-٨).

وبالنظر فى أحوال العالم الاقتصادية الآن نجد البعض يسلك سلوك قوم عاد سواء على مستوى بعض الأفراد أو على مستوى الدول، وتكفى الإشارة هنا إلى ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية فبينما نسبة الفقر فيها تبلغ حوالى ٣٠% من سكانها إلا أنهم يفاخرون بالمبانى الشاهقة الفاخرة، بينما يقيم فقراءهم فى عشش وإسكان عشوائى وفى محطات المترو والشوارع، ويعتقدون بتقدم الصناعات لديهم أنهم خالدون فى مجدهم، كما أن بطشهم بالعالم دولا وأفراد هو بطش الجبابرة وليس أدل على ذلك من ما فعلته فى أفغانستان والعراق وموقفها المتحيز من إسرائيل واستخدام حق الفيتو فى جميع القرارات التى يصدرها مجلس الأمن ضد إسرائيل وعدم التزامها بالاتفاقيات الدولية الموقعة عليها مثل عدم التزامها بقرارات منظمة التجارة العالمية واتفاقية الجات فى فتح أسواقها أمام الواردات.

فهل تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية ومن يسير فى فلكها ويعجب بمسلكها ويتمنى حالها بما حدث لقوم عاد؟!!

ثالثا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا صالح عليه السلام

ثمود قوم سيدنا صالح ﷺ عاشوا فى نعيم ورفاهية اقتصادية كبيرة نعمة من الله عزوجل عليهم ولكنهم لم يؤدوا حق هذه النعمة بالإيمان بالله والشكر له والتصرف فيها بشكل سليم، ومن مظاهر هذه النعمة كما حكى القرآن الكريم القصور الفخمة والبيوت المتينة المشيدة فى الجبال والزروع والمياه الغزيرة والأمن، حيث جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (الشعراء:١٤٦-١٤٩) ويقول سبحانه ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف:٧٤).

ومع هذه النعم الوفيرة ارتكبوا بجانب الكفر بالله ذنوباً اقتصادية تمثلت كما أخبر القرآن فى كل من الإسراف والفساد فكانت عاقبة ذلك عذابا قدريا من الله عزوجل دمرهم وما ينعمون به كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ* فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل:٥١-٥٢).

ومن الدروس الاقتصادية المستفادة من ذلك ما يلى:

الدرس الأول: أن الإسراف ذنب اقتصادى عظيم نبهه عليهم نبيهم ﷺ بقوله: ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الشعراء:١٥١) والإسراف فى الاصطلاح هو صرف الشئ فيما ينبغى زائدا على ما ينبغى بمعنى سوء استخدام الموارد الاقتصادية، وهو سلوك مازال يظهر فى التصرفات الاقتصادية للكثير من الناس الآن.

الدرس الثانى: أن الفساد ذنب اقتصادى عظيم نهاهم نبيهم ﷺ عنه ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: من الآية٦٠) وهاهو الفساد الاقتصادى والمالى والسياسى والإدارى ينتشر هذه الأيام ويشيع بدرجة كبيرة جعلته محل دراسات متعددة وإنشاء أجهزة لمكافحته على رأسها «منظمة الشفافية العالمية» ببرلين، ومع ذلك فإن التقارير الدولية والمحلية تشير إلى تزايد الفساد بكل أشكاله.

الدرس الثالث: العقوبات القدرية الإلهية الاقتصادية حقيقة واقعة وسنة إلهية لمن يخرج عن المنهج القويم.

وحال ثمود قوم صالح الاقتصادى ماثل أمامنا الآن فى الدول والأفراد الذين منحهم الله سبحانه ثروات هائلة ونعيم مقيم ومع ذلك يطيعون أمر المسرفين بالبذخ فى الإنفاق على الشهوات الكاذبة وعلى الشهوات الصادقة بإسراف واضح ويفسدون بأموالهم فى الأرض بالرشاوى والمتاجرة فى المحرمات من سلاح ومخدرات وخمور وإقامة الملاهى والقنوات الفضائية التى تبث الفسق والفجور ولا يستخدمون ثرواتهم فى الإصلاح.

رابعا: دروس اقتصادية من حياة سيدنا شعيب عليه السلام

تمتلئ قصة سيدنا شعيب ﷺ مع أهل مدين بالعديد من الدروس الاقتصادية نلخصها فيما يلى:

الدرس الأول: ضبط المقاييس: إن النشاط الاقتصادى فى معظمه نشاط كمى يقوم على المقاييس المختلفة التى تضبط الحقوق والالتزامات فى التعامل بين الناس من مكاييل وموازين وعدد، وأى خلل فيها يربك الحياة الاقتصادية ويؤدى إلى اختلالات عديدة وظلم فادح، والعدل هو جوهر الرسالات السماوية فى كل المجالات ومنها المجال الاقتصادى، ورسالات الله إلى الناس بواسطة الرسل حلقات متكاملة، ولذا علينا أن نعتبر برسالة سيدنا شعيب ﷺ التى دارت حول مكافحة ذنب اقتصادى كبير وهو الغش فى المقاييس وعلاج ذلك بطلب الوفاء بهما حيث تتكرر الآيات القرآنية موضحة ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (الأعراف: من الآية٨٥) وقوله عزوجل: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (هود:٨٤).

وكأنى بهذه الدعوة الصادقة من سيدنا شعيب ﷺ والتى تأكدت فى دعوة سيدنا محمد ﷺ فى سورة المطففين، تحتاج إلى المناداة بها عاليا فى هذه الأيام التى تباع فيها السلع عادة معلبة أو مغلفة وفق موازين معينة مكتوبة عليها وفق ما تم عند الإنتاج والتعبئة حيث نجد مكتوبا على العلبة أو الكيس زنة كيلو جرام مثلا ولا يعاد وزنها عند البيع بل يأخذها المشترى ثقة فى المكتوب عليها مع أن هذا الوزن بالتأكيد نقص بالجفاف، وما يحدث من تسرب كميات من العبوة خاصة من الأكياس البلاستيكية فينقص الوزن عند البيع عنه عند التعبئة، وهذا نقص فى الميزان وبخس لأشياء الناس منهى عنه، هذا فضلا عن الشك فى مدى صحة صدق الوزن المكتوب على العبوة وعدم تواجد رقابة مستمرة من محتسب أو غيره!!.

ويدخل فى ضبط المقاييس عدم التلاعب فى النقود فإنها مقاييس الأموال وبها تعرف قيم السلع والخدمات وسواء كان التلاعب حسيا بتزوير وتزييف النقود أو معنويا بجعل النقود سلعة تباع وتشترى مضاربة وفى السوق السوداء خاصة فى حالة الصرف الأجنبى بما يؤدى إلى التقلبات فى قوتها الشرائية وفى أسعار الصرف، وأيضا ما تفعله بعض الحكومات فيما

يعرف بالتمويل بالعجز أى طباعة النقود لتمويل عجز الموازنة العامة مما يؤدى إلى التضخم وانخفاض القوة الشرائية للنقود فكل ذلك يؤثر على النقود بصفتها مقاييس للأموال.

الدرس الثانى: الفساد الذى ينطوى على أكل أموال الناس بالباطل سواء بالغش فى المعاملات وبخس الناس حقهم أو الرشاوى والاختلاسات وكلها داخلة فى النهى الذى قاله سيدنا شعيب لقومه ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: من الآية٦٠).

الدرس الثالث: الضرائب الظالمة: وعلى الأخص الضرائب غير المباشرة على السلع والخدمات عند التعامل بها فى الأسواق وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ (الأعراف: من الآية٨٦) أى تقعدون بالطرق والأسواق تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك فكانوا أول من أخذ عشور أموال المارين عليهم بتجارات وغيرها.

الدرس الرابع: الحرية الاقتصادية المنفلتة من كل قواعد أو ضوابط فلقد استنكروا من سيدنا شعيب عليه السلام تدخله لأمرهم بإيفاء الكيل والميزان وعدم إنقاصهما وعدم بخس الناس أشياءهم فجاء ردهم عليه بقولهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ (هود: من الآية٨٧) وهذا درس لمن يروجوا لرأسمالية السوق الحرة التى تترك فيها المعاملات طبقاً لقاعدة البقاء للأقوى وآليات السوق المزعومة واليد الخفية المفترضة حسب قول آدم سميث مما أدى إلى انتشار الممارسات الاحتكارية والممارسات غير الأخلاقية التى أضرت بالأسواق وبالاقتصاد، وبدأت الأصوات العاقلة تنادى بضرورة تدخل الحكومات لضبط هذه الحرية المنفلتة بتشريعات متعددة منها ما يعرف فى بمصر بمشروع قانون تنظيم المنافسة ومنع الاحتكار الذى أعدّ منذ ثلاث سنوات ولم ير النور بعد.

هذا إلى جانب درس العقوبات الاقتصادية التى تمثل سنة إلهية فلقد عاقب الله سبحانه وتعالى قوم مدين على هذه الذنوب الاقتصادية بعذاب يوم الظلة الذى أهلكهم، وهى عقوبات قائمة إلى يوم الدين على كل من يرتكب ذنوبا اقتصادية.

خامساً: دروس اقتصادية من حياة سيدنا موسى عليه السلام

قصة سيدنا موسى عليه السلام مليئة بالدروس الاقتصادية نوجز الإشارة إلى بعضها فيما يلى:

الدرس الأول: الاستسقاء: وهو طلب السقيا من الله عز وجل بإنزال الماء عند عدم وجود الماء والقحط حيث جاء قوله تعالى ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠) وفي ذلك درس للمتشائمين اليوم بأن العالم مقبل على ندرة شديدة فى الماء وعدم كفايته، فهذا يخالف مقتضى الأيمان بالله عز وجل الذى أ خبر فى آيات عديدة بأنه سبحانه وتعالى وهو الذى خلق الحياة تكفل بمقوماتها ومن أهم هذه المقومات المياه، وبما أن الله سبحانه وتعالى هو منتج الماء فلا داعى للتشاؤم أو الخوف من نقصان الإنتاج وإنما الواجب علينا حسن تخصيص واستخدام المياه، وأن الله سبحانه وتعالى شرع صلاة الاستسقاء لنطلب منه نزولها فالأولى بدلا من إطلاق دعوات التشاؤم أن نفتح باب الأمل أمام الناس بالإيمان بأن الله عزوجل لن يضيع خلقه وأن خزائنه عامرة بالأرزاق ومنها الماء ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١) وعلينا أولا حسن تخصيص واستخدام المياه وأن نسلك طريق العبادة عند نقص المياه بصلاة الاستقساء والدعاء لله عزوجل.

الدرس الثانى: تنوع السلع مطلب إنسانى: وهذا الدرس مستفاد من قصة سيدنا موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل حينما شكوا إليه عدم الصبر على طعام واحد رغم أفضليته وهو المن والسلوى وطلبوا أطعمة أدنى منها وذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١).

فمن هذه الآية يتضح أن من طبع الإنسان التنوع فى الأطعمة وأن الاقتصار على طعام واحد ولو كان ذا قيمة كبيرة وأفضل أنواع الأطعمة يمل منه الإنسان ويقلل الشهوة والرغبة فإن الله سبحانه وتعالى رغم إخباره بأن المن والسلوى أفضل مما طلبوه إلا أنه

عزوجل استجاب لدعاء سيدنا موسى ﷺ بالتنوع فقال سبحانه ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة: من الآية٦١) كما يستفاد من الآية الكريمة أن السلع تتفاوت فى درجة نفعها بين الأفضل والأدنى وذلك يعتبر أساساً لتحديد قيمته الاقتصادية.

الدرس الثالث: أسس اختيار العاملين وتحديد أجورهم: ويظهر ذلك فى قصة سيدنا موسى ﷺ مع سيدنا شعيب ﷺ حيث رشحت إحدى ابنتيه موسى ﷺ للعمل لدى والدها ليس مجاملة لما فعله معهما من مساعدتهما فى سقى الدواب، وإنما بناء على مواصفات فيه تجعله أهلاً للعمل وهذه المواصفات هى القوة والأمان ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦) والعلوم الإدارية اليوم فى قمة تطورها لم تضف جديداً إلى أسس اختيار العاملين غير ما ذكر حيث تحدد هذه الأسس إجمالاً فى كل من الكفاءة: بمعنى القدرة على العمل، والصفات الأخلاقية: حسبما يتطلبه كل عمل، والعمل المرشح له سيدنا موسى ﷺ هو العمل فى الزراعة ويحتاج إلى قوة، ثم الأمانة لأنه سوف يتسلم العمل فى المال، ويا ليت المسئولين عن اختيار العاملين يسترشدون بهذا الدرس فلا يختارون العاملين مجاملة أو محاباة أو محسوبية أو برشاوى وإنما بناء على ما يحتاجه العمل من كفاءة وأخلاق.

هذا إلى جانب ضرورة تحديد الأجر وتسميته ومعلوميته عند التعاقد على الإجارة وكذا مدة العمل وجواز كون الأجر بدل المهر.

الدرس الرابع: الدعاء الاقتصادى: يلاحظ أن سيدنا موسى ﷺ استخدم سلاح الدعاء الاقتصادى بشقيه مرات عديدة كما يتضح مما يلى:

أ – دعاء سيدنا موسى ﷺ لبنى إسرائيل بتنوع الطعام كما ذكرنا فى الدرس الثانى واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه وقال عزوجل ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾.

ب – دعاء سيدنا موسى ﷺ على فرعون ولفرعون مرتين:

المرة الأولى: حينما أرسل الله سبحانه وتعالى جنوده من الطوفان والحشرات على فروعن وقومه كما قال ربنا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾ (الأعراف: ١٣٣) هنا لجأوا إلى سيدنا موسى طالبين منه الدعاء لله أن يكشف عنهم ذلك واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعوته كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ

الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الأعراف: ١٣٤).

المرة الثانية: حينما دعا سيدنا موسى عليه السلام على فرعون وماله بالهلاك حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨) واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه حيث يقول عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ (يونس: ٨٩) ومن هذا يتضح أنه يوجد دعاء اقتصادي يؤثر إلى حد كبير في الحياة الاقتصادية للناس إيجاباً وسلباً خاصة إذا كان من الصالحين مما يؤكد مدى الترابط بين الدين والاقتصاد.

الدرس الخامس: معايير اتخاذ القرارات الاقتصادية، ويظهر ذلك في قصة قارون الذي كان من قوم موسى كما قال ربنا: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ (القصص: من الآية ٧٦) حيث جاء فى سياق هذه القصة أربع معايير لاتخاذ القرارات الاقتصادية والحكم على الأداء الاقتصادى وهى ما ورد فى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).
وتتلخص هذه المعايير فى الآتى:

المعيار الأول: مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ أى انظر في كل تصرف اقتصادي قبل الإقدام عليه لتتأكد إن كان يرضى الله عز وجل بأنه حلال ومشروع ولا ينطوي على حرام وبالتالي تنال رضا الله وثوابه فى الآخرة فأقدم عليه، وإن كان غير ذلك فأنته عنه، ومن شأن الالتزام بهذا المعيار منع الممارسات غير الأخلاقية التي انتشرت في اقتصاد اليوم وتأكيد أن الآخرة من المتغيرات التى تؤثر فى القرار والسلوك الاقتصادى وهو ما يلزم الأخذ به عند بناء نظرية المستهلك أو نظرية المنتج وبما يظهر تميز الاقتصاد الإسلامى عن غيره وأنه توجد صلة قوية بين الدين والاقتصاد وعلى عكس ما يقول به الرأسماليون الماديون.

المعيار الثاني: ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: أي لابد لأي تصرف اقتصادى أن يحقق نفعاً لك وهذا ما يفسر اقتصادياً بتحقيق الكفاءة الاقتصادية.

المعيار الثالث: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أي أحسن إلى من تتعامل معهم فلا تبخسهم حقهم، وأحسن إلى المحتاجين بأداء ما عليك وتصدق عليهم ومن شأن هذا المعيار أن يساعد في مكافحة الفقر الذي استشرى في عالم اليوم.

المعيار الرابع: ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾: أي لا يترتب على صرفك الاقتصادي فساد مادي بتلوث البيئة، أو فساد معنوي بالغش والرشوة والاختلاس.

وبالأخذ بهذه المعايير الأربع يمكن مكافحة العديد من المشكلات الاقتصادية المعاصرة، وعلى الأخص كل من مشكلات الممارسات غير الأخلاقية وسوء تخصيص واستخدام الموارد ومشكلات الفقر وتلوث البيئة والفساد الاقتصادى.

سادساً: دروس اقتصادية متنوعة من قصص بعض السابقين الواردة فى القرآن الكريم:

في سرد القرآن الكريم لقصص الأولين يحفل بالعديد من الأحداث والوقائع الاقتصادية يحسن الإشارة إليها في هذه الورقة ومن هذه القصص والدروس المستفادة منها ما يلي:

الدرس الأول: ما ورد فى قصة أحد أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

فمن هذه القصة والتي وردت في اختيار ملك على القوم نخرج بالآتي:

أ – معايير وأسس اختيار العاملين والتي من أهمها التأهيل العلمي والقدرة والكفاءة على أداء العمل.

ب– أن الفقر لا يقدح في كفاءة الإنسان وأحقيته فى العمل طالما كان يملك مقومات أداء الوظيفة.

جـ– أن المناصب لا تورث خاصة فى الإدارة العليا.

الدرس الثاني: قصة سبأ وهم قوم كانوا يعيشون فى رغد وخصب وغناء وأمن صور ربنا سبحانه وتعالى فى كتابة الكريم حالهم بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (سبأ:١٥-١٦).

والدرس المستفاد من ذلك أن الإعراض عن منهج الله عاقبته الهلاك الاقتصادى وتبديل الأمن خوفاً والمعيشة الضنك كما قال ربنا فى صورة سنة إلهية مضطردة فى كل زمان ومكان ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (طه: ١٢٤).

الدرس الثالث: قصة أصحاب الجنة – البستان – التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى سورة القلم ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلَا يَسْتَثْنُونَ* فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ* فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (القلم:١٧-٢٠).

فهذه قصة أولاد رجل صالح رزقه الله سبحانه وتعالى بأرض خصبة ذات ثمار وكان يؤدى حق الله فلما مات صارت إلى أولاده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فعاقبهم

الله سبحانه وتعالى بهلاك ما فيها من شجر وثمر، وهذا شأن وعقاب كل من يبخل بما أنعم الله عليه من الخير برعاية المحتاجين والفقراء وإعطائهم ما أمرهم الله سبحانه به من حقوق.

****

وبهذا نأتى إلى ختام الورقة التى حاولنا فيها أن نشير بإيجاز إلى أهم الدروس الاقتصادية المستفادة من حياة الأنبياء عليهم السلام والأمر يحتاج إلى دراسات موسعة للاستفادة من هذا الهدى الربانى الذى أنزله على رسله، فإذا كانت الرسالات ختمت برسالة الإسلام فإن القرآن وما فيه من أحكام وتوجيهات وقصص الأوليين يمثل حبل الله المتين بينه وبين خلقه علينا أن نتمسك به ونهتدى بهداه ونستضئ بنوره ليتحقق لنا الفلاح فى الدنيا والفوز فى الآخرة.

والله الموفق